

نماذج إجابة

المجموعة الأولى

د / صبحي عبد المنعم محمد

السؤال الأول

تميزت الإدارة العثمانية في زمن أورخان بن عثمان (٧٢٦-٧٦١هـ) بالكفاءة وإتاحة الفرص أمام رعايا الدولة ، ومعاملة أهل الذمة بتسامح ، والاهتمام بالتعليم . وضح ذلك واذكر رأيك ، وبين أهم العوامل التي ساعدت أورخان على تحقيق أهدافه .

الإجابة

تميزت الإدارة العثمانية في عهد «أورخان» بالكفاءة، وإتاحة الفرص أمام رعايا الدولة، ومعاملة أهل الذمة بتسامح كامل، والاهتمام بالتعليم وأهله.

العوامل التي ساعدت أورخان على تحقيق أهدافه:

١- **المرحلية** التي سار عليها أورخان ، واستفادته من جهود والده عثمان، ووجود الإمكانيات المادية والمعنوية التي ساعدتهم على فتح الأراضي البيزنطية في الأناضول وتدعيم سلطتهم فيها. ولقد تميزت جهود أورخان بالخطى الوئيدة والحاسمة في توسيع دولته ومد حدودها ، ولم ينتبه العالم المسيحي إلى خطورة الدولة العثمانية إلا بعد أن عبروا البحر واستولوا على غاليبولي .

٢- كان العثمانيون – يتميزون – في المواجهة الحربية التي تمت بينهم وبين الشعوب البلقانية – بوحدة الصف و الهدف، ووحدة المذهب الديني وهو المذهب السني.

٣- وصول الدولة البيزنطية إلى حالة من الإعياء الشديد، وكان المجتمع البيزنطي قد أصابه تفكك سياسي وانحلال ديني واجتماعي ، فسهل على العثمانيين ضم أقاليم هذه الدولة.

٤- **ضعف الجبهة المسيحية** نتيجة لعدم الثقة بين السلطات الحاكمة في الدولة البيزنطية وبلغاريا وبلاد الصرب والمجر ، ولذلك تعذر في معظم الأحيان تنسيق الخطط السياسية والعسكرية للوقوف في جبهة واحدة ضد العثمانيين.

٥- **الخلاف الديني بين روما والقسطنطينية** أي بين الكاثوليك والأرثوذكسية الذي استحكمت حلقاته وترك آثاراً عميقة الجذور في نفوس الفريقين.

٦- **ظهور النظام العسكري الجديد على أسس عقدية، ومنهجية تربوية وأهداف ربانية** ، وأشرف عليه خيرة قادة العثمانيين .

السؤال الثاني :

اكتب مذكرة تاريخية مختصرة عن :

- أ- أهم الصفات القيادية في عثمان بن أرطغرل .
ب- فتح القسطنطينية .

الإجابة

أهم الصفات القيادية في عثمان :

(١) الشجاعة : عندما تنادى أمراء النصارى في بورصة ومادانوس وأدره نوس وكنه وكنتله البيزنطيون في عام ٧٠٠هـ لتشكيل حلف صليبي لمحاربة عثمان واستجابت النصارى لهذا النداء وتحالفوا تقدم عثمان بجنوده وخاض الحروب بنفسه وشتت الجيوش الصليبية وظهرت منه شجاعة أصبحت مضرب المثل .

(٢) الحكمة : لقد رأى من الحكمة أن يقف مع السلطان علاء الدين ضد النصارى ، وساعده في افتتاح جملة من مدن منيعة ، وعدة قلاع حصينة، ولذلك نال رتبة الإمارة من السلطان السلجوقي علاء الدين. وسمح له سك العملة باسمه ، مع الدعاء له في خطبة الجمعة في المناطق التي تحته.

(٣) الإخلاص : عندما لمس سكان الأرضي القريبة من إمارة عثمان إخلاصه للدين تحركوا لمساندته والوقوف معه لتوطيد دعائم دولة إسلامية تقف سداً منيعاً أمام الدولة المعادية للإسلام والمسلمين.

(٤) الصبر : وظهرت هذه الصفة في شخصيته عندما شرع في فتح الحصون والبلدان ، ففتح في سنة ٧٠٧هـ حصن كنه ، وحصن لفكة ، وحصن آق حصار ، وحصن قوج حصار. وفي سنة ٧١٢هـ فتح صحن كبوه وحصن يكيجه طرا قلوا ، وحصن تكرر بيكاري وغيرها ، وقد توج فتوحاته هذه بفتح مدينة بروسة في عام ٧١٧هـ ، وذلك بعد حصار صعب وشديد دام عدة سنوات ، كان من أصعب ما واجهه عثمان في فتوحاته.

(٥) الجاذبية الإيمانية : وتظهر هذه الصفة عندما احتك به أقرينوس قائد بروسه واعتنق الإسلام أعطاه السلطان عثمان لقب (بك) وأصبح من قادة الدولة العثمانية البارزين فيما بعد ، وقد تأثر كثير من القادة البيزنطيين بشخصية عثمان ومنهجه الذي سار عليه حتى امتلأت صفوف العثمانيين منهم ، بل إن كثيراً من الجماعات الإسلامية انخرطت تحت لواء الدولة العثمانية كجماعة (غزياروم) أي غزاة الروم ، وهي جماعة إسلامية كانت ترابط على حدود الروم وتصد هجماتهم عن المسلمين منذ العصر العباسي ، وجماعة (الإخيان) (أي الإخوان) وهم جماعة من أهل الخير يعينون المسلمين ويستضيفونهم ويصاحبون جيوشهم لخدمة الغزاة ويتولون إقامة المساجد والتكايا والفنادق، وجماعة (حاجيات روم) أي حجاج أرض الروم ، وكانت جماعة على فقه بالإسلام ومعرفة دقيقة لتشريعته ، وكان هدفها معاونة المسلمين عموماً والمجاهدين خصوصاً وغير ذلك من الجماعات.

(٦) العدل : تروى معظم المراجع التركية التي أرخت للعثمانيين أن أرطغرل عهد لابنه عثمان مؤسس الدول العثمانية بولاية القضاء في مدينة قره جه حصار بعد الاستيلاء عليها من البيزنطيين في عام ٦٨٤هـ ، وأن عثمان حكم لبيزنطي نصراني ضد مسلم تركي ، فاستغرب البيزنطي وسأل عثمان : كيف تحكم لصالحه وأنا على غير دينك ، فأجابه عثمان : بل كيف لا

أحكم لصالحك ، والله الذي نعبد ، يقول لنا : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: ٥٨) .

فاهتدى الرجل وقومه إلى الإسلام. لقد عثمان استخدم العدل مع رعيته وفي البلاد التي فتحها ، فلم يعامل القوم المغلوبين بالظلم أو الجوار أو التعسف أو التجبر ، أو الطغيان ، أو البطش .

(٧) **الوفاء** : كان شديد الاهتمام بالوفاء بالعهود ، فعندما اشترط أمير قلعة اولوباد البيزنطية حين استسلم للجيش العثماني، أن لا يمر من فوق الجسر أي عثمانى مسلم إلى داخل القلعة التزم بذلك وكذلك من جاء بعده.

(٨) **التجرد** : فلم تكن أعماله وفتوحاته من أجل مصالح اقتصادية أو عسكرية أو غير ذلك ، بل كان فرصة تبليغ دعوة الله ونشر دينه ولذلك وصفه المؤرخ احمد رفيق بأنه (كان عثمان متديناً للغاية ، وكان يعلم أن نشر الإسلام وتعميمه واجب مقدس وكان مالكا لفكر سياسي واسع متين ، ولم يؤسس عثمان دولته حبا في السلطة وإنما حبا في نشر الإسلام).

" لقد كان عثمان بن أرطغرل يؤمن إيمانا عميقا بأن وظيفته الوحيدة في الحياة هي الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، وقد كان مندفعاً بكل حواسه وقواه نحو تحقيق هذا الهدف"

لقد كانت شخصية عثمان متزنة وخالبة ؛ بسبب إيمانه العظيم بالله تعالى واليوم الآخر ، ولذلك لم تطغ قوته على عدالته ، ولا سلطانه على رحمته ، ولا غناه على تواضعه ، وأصبح مستحقاً لتأييد الله وعونه ، ولذلك أكرمه الله تعالى بالأخذ بأسباب التمكين والغلبة ، فجعل له مكنة وقدرة على التصرف في آسيا الصغرى من حيث التدبير والرأي وكثرة الجنود والهيبة والوقار ، لقد كانت رعاية الله له عظيمة ولذلك فتح له باب التوفيق وحقق ما تطلع إليه من أهداف وغاية سامية . قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد: ٧) .

فتح القسطنطينية

رأى السلطان «محمد الفاتح» أن فتح «القسطنطينية» كما أنه يحقق أملا عقائديا عنده فإنه أيضاً يسهل للدولة العثمانية فتوحاتها في منطقة «البلقان» ويجعل بلاده متصلة لا يتخللها عدو، وكانت «القسطنطينية» تمثل الأرض التي تعترض طريق الفتوحات في «أوربا»، فبدأ في عاصمته «أدرنة» الاستعداد لعملية فتح «القسطنطينية»، ومن ذلك: صب المدافع خاصة الضخم منها، والاستعداد لنقل هذه المدافع إلى أسوار مدينة «القسطنطينية». ثم رأى السلطان «محمد» أن جده «بايزيد الصاعقة» كان قد بنى - أثناء محاولته فتح «القسطنطينية» - قلعة على الضفة الآسيوية من «البوسفور» سماها «أناضولو حصاري» أي «قلعة الأناضول». كانت تقوم على أضيق نقطة من «مضيق البوسفور»، فقرر «محمد» أن يبني في مواجهة هذه القلعة على الجانب الأوربي من «البوسفور» قلعة سماها «روملي حصاري» أي «قلعة منطقة الروم» (يطلق الأتراك على الجانب

الأوربي من "تركيا" والمنطقة الملاصقة له والمعروفة الآن باسم «البلقان» اسم «روم إيلي» أي منطقة الروم، وكان القصد من هذا هو التحكم في «البوسفور» تمامًا، وكان السلطان «محمد» هو الذي وضع بنفسه تخطيط هذه القلعة، ونفذها المعماري «مصلح الدين آغا» ومعه (٧٠٠٠) عامل أنهموا مهمتهم في أربعة أشهر كاملة.

وبعد أن تم البناء خرج بعض الجنود العثمانيين لرؤية «القسطنطينية» فما لبث أن وقع بينهم وبين البيزنطيين المجاورين لأسوار المدينة بعض حوادث شغب، كان لها رد فعل عند السلطان «محمد» فأصدر أوامره بإبعاد البيزنطيين المجاورين للأسوار والقرويين المجاورين للمدينة، فقام إمبراطور «بيزنطة» «قسطنطين دركازيز» بإخلاء القرى المجاورة، وسحب سكانها إلى داخل المدينة، ثم أمر الإمبراطور بإغلاق أبواب «القسطنطينية» وإحكام رتاجها.

وبينما الاستعدادات العثمانية تجرى على قدم وساق في «أدرنة» لفتح «القسطنطينية» كان الوضع في المدينة غاية في الاضطراب، فقد طلب الإمبراطور «قسطنطين» معونة عاجلة من البابا «نيقولا الخامس» فاستجاب البابا وأرسل الكاردينال «ايزودور» إلى «القسطنطينية» فتوجه هذا الكاردينال وهو كاثوليكي - إلى «كنيسة آياصوفيا» وأقام فيها المراسم الكنسية على الأصول الكاثوليكية مخالفًا بذلك بل ومتحدثًا مشاعر شعب «القسطنطينية» الأرثوذكسي.

وقف الشعب ينظر إلى الكاردينال المنقذ باشمنزاز بالغ، وكان إمبراطور «القسطنطينية» يميل إلى فكرة اتحاد الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية، أما رئيس الحكومة «لوكاس نوتاراس» و«جناديوس» (الذي صار بطريقًا بعد الفتح) فقد عارضوا بشدة هذا الاتحاد خوفًا على الأرثوذكسية من الفناء، وقال «نوتاراس» قولته الشهيرة: «إني أفضل رؤية العمامة التركية في القسطنطينية على رؤية القبعة اللاتينية» ولم يكن «البيزنطيون» قد نسوا الأعمال الوحشية التي قام بها «اللاتين» عندما احتلوا «القسطنطينية» عام (٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م) ومع ذلك فإن الكنيسة اللاتينية لم تتوان عن إرسال موجات المتطوعين إلى «القسطنطينية» بناء على طلب إمبراطورها، لكن مجيء «ايزودور» لم يحقق أدنى نتيجة في مسألة اتحاد الكنيستين.

الحصار والفتح:

حاصر العثمانيون «القسطنطينية» بصرًا وبحرًا في سنة (٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م) واشترك في الحصار من الجنود البحرية (٢٠٠٠٠) جندي على (٤٠٠) سفينة، أما القوات البرية فكانت (٨٠٠٠٠) جندي، والمدفعية (٢٠٠) مدفع.

وقفت القوات البحرية العثمانية بقيادة «بلطة أوغلو سليمان بك» على مدخل «الخليج الذهبي» وكان عليه تدمير الأسطول البيزنطي المكلف بحماية مدخل الخليج وكان البيزنطيون قد أغلقوا - قبل الحصار - الخليج بسلسلة حديدية طويلة يصعب من جرائها دخول أي سفينة إلى الخليج، مما شكل أكبر معضلة أمام العثمانيين، لأن سفنهم كان عليها أن تحمل الجنود وتدخل الخليج لإنزالهم لكي يضربوا «القسطنطينية».

ثم جاءت ثلاث سفن جنوية، وسفينة بيزنطية بقيادة القائد الشهير «جوستنيانى» أرسلها البابا للدفاع عن «القسطنطينية» ولتقل الإمدادات إليها، جاءت هذه السفن ولم تستطع البحرية العثمانية منعها، فبعد معركة عنيفة مع البحرية العثمانية تغلب «جوستنيانى» ومضى بسفنه إلى الخليج، ففتح لها أهل «القسطنطينية» السلسلة الحديدية وأدخلوها، وكانت هذه الحادثة دافعاً لكي يفكر السلطان «محمد» في خطة عسكرية تشهد لها القواد العسكريون بالبراعة.

كانت هذه الخطة تقضى بنقل (٦٧) سفينة من السفن الخفيفة عبر البر من منطقة «غلطة» إلى داخل الخليج لتفادى السلسلة، وتمت هذه العملية بوضع أخشاب مطلية بالزيوت على طول المنطقة المذكورة، ثم دفعت السفن لتنزلق على هذه الأخشاب في جنح الظلام، بعد أن استطاعت المدفعية العثمانية بإطلاقها مدافع الهاون أن تشد انتباه البيزنطيين إليها، ومن ثم لم يلتفت أحد لعملية نقل السفن إلى الخليج.

نقلت السفن وأنزلت إلى الخليج ووضعت الواحدة تلو الأخرى على شكل جسر على عرض الخليج، حتى استطاع الجنود الانتقال عليها وصولاً إلى بر «القسطنطينية» وما إن جاء الصباح إلا وتمكنت الدهشة أهل «القسطنطينية»، ويصف المؤرخ «دوكاس» وهو بيزنطي عاصر الحادثة دهشته من هذه العملية قائلاً: «إنها لمعجزة لم يسمع أحد بمثلها من قبل ولم ير أحد مثلها من قبل». وبعد أن فشلت البحرية العثمانية في إحباط محاولة «جوستنيانى» دخول الخليج، لم يملك السلطان «محمد» إلا الأمر بالهجوم العام الذي اشتركت فيه كل القوات العثمانية مرة واحدة، وقبل هذا مباشرة أرسل السلطان «محمد» إلى الإمبراطور للمرة الثانية - يطلب منه تسليم المدينة سلمًا حقًا للدماء، وللإمبراطور أن ينسحب إلى أي مكان يريده بكل أمواله وخزائنه، وتعهد السلطان «محمد» بتأمين أهل «القسطنطينية» - في هذه الحالة - على أموالهم وأرواحهم وممتلكاتهم، لكن الإمبراطور - بتحريض من الجنوبيين - رفض هذا العرض.

وفى (١٦ من ربيع الأول ٨٥٧ هـ = ٢٦ من مايو ١٤٥٣ م) أراد ملك «المجر» أن يضغط على السلطان «محمد» في هذا الوقت الحرج، فأرسل يقول له: «إنه في حالة عدم توصل العثمانيين إلى اتفاق مع إمبراطور «القسطنطينية» فإنه (أي ملك "المجر") سيقود حملة أوربية لسحق العثمانيين، ولم تغير هذه الرسالة شيئاً.

مضى نهار يوم (٢٨ من مايو) هادئاً، وعند الفجر وبعد الصلاة مباشرة، اتجه السلطان «محمد» إلى مكان الهجوم ومع دوى المدافع الضخمة الذي بدأ، صدر الأمر السلطاني بإخراج العلم العثماني من محفظته، وهذا يعنى عند "الأترك" الأمر ببداية الهجوم العام.

واستطاعت المدافع أثناء ذلك إحداث فتحة في الأسوار، ثم اجتاز الجنود العثمانيون الخنادق المحفورة حول «القسطنطينية» واعتلوا أسوارها، وبدأ الجنود يتدفقون على ثلاث موجات، اشتركت «الإنكشارية» في الثالثة منها، فاضطر «قسطنطين» أن يدفع بقواته الاحتياطية التي كانت مرابطة بجوار كنيسة الحواريين «سانت أبوترس» (مكان جامع الفاتح بعد ذلك) لتدخل المعركة، وما لبث أن أطلق جندي عثماني سهمه فأصاب القائد

«جوستنيانى» إصابة بالغة فانسحب «جوستنيانى» من ميدان المعركة رغم توصلات الإمبراطور له، لأن «جوستنيانى» كان له دور كبير في الدفاع عن المدينة.

وكان أول شهداء العثمانيين هو الأمير «ولى الدين سليمان» الذي أقام العلم العثماني على أسوار المدينة البيزنطية العريقة، وعند استشهاده أسرع (١٨) جنديا عثمانيا إليه لحماية العلم من السقوط واستطاعوا حمايته حتى واصل بقية الجنود تدافعهم على الأسوار، وثبت العلم تمامًا على الأسوار بعد أن استشهد أيضًا هؤلاء الثمانية عشر جنديا، أثناء ذلك كان العثمانيون يواصلون تدفقهم إلى المدينة، عن طريق الفتحات التي أحدثتها المدفعية في الأسوار، ثم عن طريق تسلق السلالم التي أقاموها على أسوار المدينة، وتمكن جنود من فرق الهجوم العثمانية من فتح بعض أبواب «القسطنطينية» ونجح آخرون في رفع السلاسل الحديدية التي وضعت في مدخل الخليج لمنع السفن العثمانية من الوصول إليها، فتدفق الأسطول العثماني إلى الخليج وبعد ذلك إلى المدينة نفسها، وساد الذعر البيزنطيين وكان قد قتل منهم من قتل، وهرب من استطاع إلى ذلك سبيلا.

الفتاح يعطى الأمان:

عندما دخل «محمد الفاتح» المدينة أمر بإحراق جثث القتلى تفادياً للأمراض، وسار على ظهر جواده إلى كنيسة «آيا صوفيا» حيث تجمع الشعب البيزنطي ورهبانه، وما إن علموا بوصول السلطان الفاتح حتى خروا سجداً راکعين بين أنين وبكاء وعويل، ولما وصل الفاتح، نزل من على ظهر حصانه وصلى ركعتين شكراً لله على توفيقه له بالفتح، ثم سار يقصد شعب "بيزنطة" ورهبانه، ولما وجدهم على هذه الحالة من السجود انزعج وتوجه إلى رهبانهم قائلاً: «قفوا استقيموا فأنا السلطان محمد، أقول لكم ولجميع إخوانكم ولكل الموجودين هنا، إنكم منذ اليوم في أمان في حياتكم وحریاتكم»، وهذا ما سجله مؤرخ بولوني كان معاصراً.

وكان لهذا التصرف من الفاتح أثر كبير في عودة المهاجرين النصارى الذين كانوا قد فروا من المدينة، وأمر الفاتح قواده وجنوده بعدم التعرض للشعب البيزنطي بأذى، ثم طلب من الناس العودة إلى ديارهم بسلام، وحول «آيا صوفيا» إلى جامع، على أن تصلى فيه أول جمعة بعد الفتح (كان الفتح يوم ثلاثاء) وكانت «آيا صوفيا» أكبر كنيسة في العالم وأقدم مبنى في "أوربا" كلها، وسميت المدينة «إسلامبول» أي مدينة الإسلام. كان سلوك الفاتح عندما دخل «القسطنطينية» ظافراً؛ سلوكاً مختلفاً تماماً عما تقول به شريعة الحرب في العصور الوسطى، وهو نفى شعب المدينة المفتوحة إلى مكان آخر أو بيعه في أسواق النخاسة، لكن الفاتح قام بما عجز عن فهمه الفكر الغربي المعاصر له من تسامح ورحمة، فقد قام بالآتي:

- أطلق سراح الأسرى فوراً نظير مقابل مادي قليل يسد على أقساط طويلة المدى.

- وأسكن الأسرى الذين كانوا من نصيبه في المغنم في المنازل الواقعة على ساحل الخليج.

- وعندما أبيحت «القسطنطينية» للجنود ثلاثة أيام عقب الفتح، كان هذا الإذن مقتصرًا على الأشياء غير المعنوية، فلم تُغصب امرأة ولم يُمسَّ شيخ ولا عجوز ولا طفل ولا راهب بأذى، ولم تهدم كنيسة ولا صومعة ولا دير ولا بيعة، مع أن المدينة أخذت بالحرب ورُفضت التسليم.

- وكان من حق الفاتح قانونًا - ما دامت المدينة قد أخذت عنوة- أن يكون هو نيابة عن الجيش الفاتح مالكا لكل ما في المدينة، وأن يحول نصف الكنائس والبيع على مدى زمني طويل إلى جوامع ومساجد، وأن يترك النصف الآخر لشعب المدينة على ما هو عليه، وفي وقفيات السلطان «محمد الفاتح» بنود كثيرة على بقاء أديرة «جوكاليجا» و«آيا» و«ليبس» و«كيرا ماتو» و«الكس» في يد البيزنطيين.

- واعترف لليهود بملكيتهم لبيعهم كاملة، وأنعم بالعطايا على الحاخام «موسى كابسالي».

- وعين في سنة (٨٦٥هـ = ١٤٦١م) للجماعات الأرمنية بطريقًا يدعى «يواكيم» ليشرف على مصالح "الأرمن" ويوحد صفوفهم.

- وبدأ في أعمال تعمير المدينة ابتداء من (٢٣ من ربيع الأول ٨٥٧هـ = ١٢ من يونية ١٤٥٣م) (كان الفتح يوم ٢٩ من مايو من العام نفسه) وأمر بنقل جماعات كثيرة من مختلف أنحاء الدولة إلى «القسطنطينية» للإسهام في إعادة إنعاشها.

- وأعاد للأرثوذكس كرامتهم التي أهدرها اللاتين الكاثوليك بأن أعطاهم حق انتخاب رئيس لهم، يمثلهم ويشرف على شئونهم، وأصبح «سكولا ريوس» (جنادايوس) أول بطريق لهم بعد الفتح العثماني للقسطنطينية، وبذلك أنقذ الفاتح إيمان الأمة التي فتح ديارها،

- وأحيا الأرثوذكسية بعد أن أخذت تخفت.

- وجعل الفاتح مسائل الأحوال الشخصية مثل: الزواج والطلاق والميراث وأمور الوفاة الخاصة بأهل المدينة المفتوحة من حق الجماعات الدينية المختصة، وكان هذا امتيازًا منعدم النظير في «أوربا» في ذلك الوقت.

الفتح وحكام عصره:

كان تصرف «الفتح» تصرفًا حضاريا في الوقت الذي كان الحكام من الشرق والغرب يتلذذون بسفك الدماء ويقتل الناس بالآلاف، ويتلذذون وهم على موائد الطعام بمنظر الأسرى وقد اخترقت بطونهم أسنة رماح الجنود، وبرفع الأسرى على الخوازيق وبخلط دمائهم بأنواع الشراب، كما فعل «جنكيزخان» و«تيمورلنك» في الشرق، و«فلال» و«هونيادي» في الغرب.

إن دولة «بيزنطة» هدمت حي المسلمين في «القسطنطينية» وأبادت سكانه بعد أن علم الإمبراطور بانتصار «تيمورلنك» على السلطان العثماني «بايزيد الصاعقة» في واقعة "أنقرة" عام (٨٠٥هـ = ١٤٠٢م).

وأزهقت الجيوش الصليبية في عملية احتلال القدس أرواح (٧٠٠٠٠) بريء، يقول «ه. ج. ويلز» في ذلك: «كانت المذبحة التي دارت في بيت المقدس رهيبة وكان الراكب على جواده يصيبه رشاش الدم الذي سال في الشوارع..» ويقول المؤرخ نفسه عن «هولاكو»: «كان هولاكو يفتح فارس وسوريا وأظهر "المغول" في ذلك الزمان عداوة مريرة للإسلام، ولم يكتفوا بتذبيح سكان "بغداد" بل وقد صارت أرض الجزيرة منذ تلك اللحظة التعسة يباباً من الخرائب والأطلال لا تتسع إلا للعدد القليل من السكان».

وتقول «سامحة آي ويردي»: «إن الجيوش الصليبية التي تدفقت على القسطنطينية عام (٦٠٣هـ = ١٢٠٦م) قامت بتحويل المدينة إلى خرابة بائسة فقيرة معدمة بعد أن كانت غنية معمورة يسودها الرخاء». وعندما دخل «شارل الخامس» «تونس» عام (٩٤٧هـ = ١٥٤٠م) لم يترك حياً أمامه إلا قتله ولم تسلم من وحشيته حتى الجمال والقطط، وهذا ما ذكره «شهاب الدين تكين داغ» في مذكراته عن الدولة العثمانية.

إن هذه الأمثلة إذا ما قارناها بموقف «الفتاح» الحضاري من «القسطنطينية» وأهلها، نرى «الفتاح» قائداً منعدم النظر بين أقرانه من أباطرة الشرق وحكام الغرب، ولو كان «الفتاح» قد اتبع ما كان يجرى على الجانب الغربي من البحر المتوسط من فظائع الإسبان في «الأندلس» وما فعلوه بالمسلمين وبالغرب ما أصبح هناك مسيحي واحد في «القسطنطينية».

المجموعة الثانية د عبد الباري

أهمية موقع دول الشرق الإسلامي :

(١) تقع دول الشرق الإسلامي وسط قارات العالم القديم والحديث، حيث تنتشر بين القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوربا) .

(٢) تشرف دول الشرق الإسلامي على أهم بحرين في العالم، هما البحر المتوسط والأحمر، بل تحيط بدول الشرق من جميع جهاته تقريباً عدة بحار، ففي الغرب البحر المتوسط، وفي الشرق خليج عمان والخليج العربي وإقليم القوقاز وهو مدخل الشرق الإسلامي

(٣) تملك دول الشرق الإسلامي الثروة المعدنية المدفونة في باطن الأرض، مما يجعلها منجماً مهما يسهم في تطوير مجالات الصناعة والحضارة .

وزاد من أهمية هذه البلاد ظهور البترول الذي يعد أهم مصدر للطاقة في العصر الحديث .

(٤) لدول الشرق الإسلامي أهمية تجارية كبيرة ، حيث تملك معظم منافذ الخطوط التجارية بين الشرق والغرب ، البرية منها والبحرية ، بسبب إطلالها على عدد من البحار والمحيطات والخلجان .

من مظاهر الاحتلال الفرنسي لمصر

حملة نابليون الاستدمارية :

في (٣ من ذي الحجة ١٢١٢ هـ = ١٩ من مايو ١٧٩٨م) أبحرت الحملة من ميناء طولون ، وتألفت من نحو (٣٥) ألف جندي ، تحملهم (٣٠٠) سفينة ، ويحرسها أسطول حربي فرنسي مؤلف من (٥٥) سفينة ، وفي طريقها إلى الإسكندرية استولت الحملة على جزيرة مالطة من فرسان القديس يوحنا آخر فلول الصليبيين ، وعرف هذا الجيش بـ (جيش الشرق) الفرنسي .

وتسربت أخبار الحملة الفرنسية إلى بريطانيا على الرغم من السرية التامة التي أحاطت بتحركات هذه الحملة وبوجهتها ، وبدأ الأسطول البريطاني يراقب الملاحاة في البحر المتوسط ، واستطاع نيلسون قائد الأسطول البريطاني الوصول إلى ميناء الإسكندرية قبل وصول الحملة الفرنسية بثلاثة أيام ، وأرسل بعثة صغيرة للتفاهم مع السيد " محمد كريم " حاكم المدينة ، وإخباره أنهم حضروا للتفتيش عن الفرنسيين الذين خرجوا بحملة كبيرة ، وقد يهاجمون الإسكندرية التي لن تتمكن من دفعها ومقاومتها ، لكن السيد محمد كريم ظن أن الأمر خدعة من جانب الإنجليز لاحتلال المدينة تحت دعوى مساعدة المصريين لصد الفرنسيين ، وأغظ القول للبعثة ؛ فعرضت أن يقف الأسطول البريطاني في عرض البحر لملاقاة الحملة الفرنسية ، وأنه ربما يحتاج للتموين بالماء والزاد في مقابل دفع الثمن ، لكن هذا الطلب قوبل بالرفض .

وفي (١٨ من المحرم ١٢١٣ هـ = ٢ من يوليو ١٧٩٨م) وصلت الحملة الفرنسية إلى الإسكندرية ودخلت المدينة بعد ساعات من مقاومة أهلها وحاكمها السيد محمد كريم ، وراح نابليون يذيع منشورا على أهالي مصر ، تحدث فيه عن سبب قدومه لغزو بلادهم ، وهو: تخليص مصر من طغيان البكوات المماليك الذين يتسلطون في البلاد المصرية ، وأكد في منشوره على احترامه للإسلام والمسلمين ، وبدأ المنشور بالشهادتين وحرص على إظهار إسلامه وإسلام جنده كذبا وزورا ، وشرع يسوق الأدلة والبراهين على صحة دعواه ، وأن الفرنسية هم أيضا مسلمون مخلصون ، فقال: "إنهم قد نزلوا روما وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة المسلمين ، وأنهم قد قصدوا مالطة وطردها منها فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يزعمون أن الله يطلب منهم مقاتلة المسلمين .

من مظاهر وحدة دول الشرق الإسلامي

من محاولات الوحدة بين دول الشرق الإسلامي

جامعة الدول العربية :

كانت مصر أعرق الدول العربية ، وأكثرها سكانًا وإنتاجًا وأرقاها من حيث مركزها الدولي والثقافي والاقتصادي ، ولما كانت مصر كذلك بدأت تتطلع إلى إنشاء وحدة عربية تضم الدول العربية جمعاء وهذا ما حدث عندما دعت مصر الدول العربية المستقلة لعقد مؤتمر عام في الإسكندرية يحضره جميع الدول العربية المستقلة وقتها وهي:

- (١) مصر: استقلت بعد معاهدة ١٩٣٦م التي نصت على جلاء القوات البريطانية عن مصر .
- (٢) العراق: كان مستقلاً طبقاً لمعاهدة ١٩٣٠م التي اعترف الإنجليز فيها باستقلال العراق مع بقاء قوات بريطانية في بعض المواقع .
- (٣) الأردن: كان مستقلاً منذ أنشأه الملك (عبد الله) ولكنه كان يخضع لتوجيه بريطاني .
- (٤) سوريا: استقلت سوريا سنة ١٩٤٣م ولكنه كان استقلالاً مقيداً ببقاء قوات الاحتلال فيها .
- (٥) لبنان: كان استقلالها مقيداً أيضاً .

(٦) اليمن: كان مستقلاً تحت حكم الإمام فيما عدا محمية عدن .

(٧) المملكة العربية السعودية: وهي البلاد التي كانت تحت حكم الملك عبد العزيز آل سعود، والتي مرت بمراحل ثلاث هي الدولة السعودية الأولى، والثانية، والثالثة .

ويعد مواقف هذه الدول السبعة على حضور المؤتمر عقد المؤتمر في الإسكندرية بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤م وقد أظهرت المشاورات التي دارت في هذا المؤتمر إلى ثلاثة أشكال للوحدة العربية :

الاقتراح الأول : إنشاء حكومة مركزية موحدة غير أن هذا الاقتراح استبعد بعد أن تبين استحالة تخلي الزعماء العرب عن مناصبهم .

الثاني : قيام دولة اتحادية ذات سلطة ملزمة على الدول التي تشكل منها على أن تتركز السلطة الاتحادية في مجلس تشترك فيه كل دولة بعدد من المسلمين غير أن هذا الاقتراح استبعد لاستحالة تنفيذه في المرحلة الأولى .

الثالث : تأسيس رابطة متراضية من الدول العربية تكون سلطتها ملزمة للدول التي تقبل قراراتها وهذا ما تم الاتفاق عليه باعتبار ذلك خطوة أولى نحو الوحدة وقد أصدر مؤتمر الإسكندرية وثيقة عرفت باسم (بروتوكول الإسكندرية) الذي نص على ما يلي :

إثباتاً للروابط العديدة والصلات الوثيقة التي تربط بين البلاد العربية جميعاً وحرصاً على توطيد الروابط وتدعيمها وتوجيهها إلى ما فيه خير وصلاح البلاد العربية تم الاتفاق على ما يأتي :

(١) تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام إليها، ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى مجلس جامعة الدول العربية، تمثل فيه الدول المشتركة في الجامعة على قدم المساواة، وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول من الاتفاقات، وعقد اجتماعات دورية؛ لتوثيق الصلات، وتنسيق خططها السياسية؛ تحقيقاً للتعاون فيها وصيانة استقلالها، وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة، وللنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها .

(٢) تنشيط التعاون بين البلاد العربية في الشؤون الاقتصادية والمالية، بما في ذلك التبادل التجاري والجمارك، وأمور الزراعة، والصناعة، وفي شؤون المواصلات، والسكة الحديدية، والطيران، والملاحة، والبريد، وشؤون الثقافة، وشؤون الجنسية، والجوازات، والتأشيرات، وتنفيذ الأحكام، وتسليم المجرمين، بما في ذلك الشؤون الاجتماعية والصحية .

وقد اتفقوا على خطة موحدة في علاقاتها الخارجية، وعدم السماح بحال من الأحوال باتخاذ سياسة خارجية ضارة بسياسة الجامعة .

وفي مارس ١٩٤٥م عقد في القاهرة مؤتمر عربي انتهى إلى وضع ميثاق جامعة الدول العربية وتم الاتفاق على أن يكون مقرها الدائم في القاهرة .

من صور مقاومة الاحتلال الأوربي

١ - مقاومة أهل الإسكندرية

٢ - مقاومة أهل عكا .

مقاومة أهل ليبيا .

الاحتلال الإنجليزي للعراق :

بدأت بريطانيا غزو العراق في السادس من نوفمبر سنة ١٩١٤م، واستغرق الغزو أكثر من أربع سنوات، أي بعد إعلان الهدنة في الحرب العالمية الأولى في نوفمبر سنة ١٩١٨م .

ومنذ البداية أعلنت بريطانيا أن قواتها لم تأت فاتحة غازية، بل محررة منقذة، بيد أن سياسة بريطانيا الفعلية آنذاك كانت ترمي إلى استعمار العراق، وقد رأى ممثل بريطانيا في العراق أن يحكم العراق حكما مباشرا، من خلال إدخال النظم والقوانين والمبادئ الإدارية والقضائية الهندية، وتركيز السلطات الأساسية في يد الحكام السياسيين البريطانيين ومعاونيهم .

أما على المستوى المحلي، فقد اعتمد على شيوخ القبائل من أجل تحقيق الأمن، وأتاح لهم الانتفاع بالأراضي الأميرية الواسعة، ومنحهم الإقطاعات الكبيرة لتقوية دعائم النظام الإقطاعي في العراق، ولإغرائهم على الخضوع للنفوذ البريطاني .

أثارت السياسة البريطانية الاستعمارية استياء وتذمر الوطنيين العراقيين المنتمين إلى التيار القومي العربي والتيار الإسلامي، وكان التيار الأول يضم الوطنيين الذين اشتركوا في الجمعيات العربية السرية، وفي نادي المنتدى الأدبي، وفي حزب العهد، وكان قسم كبير من هؤلاء الوطنيين في الشام مع الأمير فيصل. أما التيار الثاني وهو التيار الإسلامي فكان يتركز أساسا في النجف وكربلاء، وكان بحكم الموقع الديني معاديا للبريطانيين ، ومفجرا للثورة عليهم .

وفي سنة ١٩١٨م قامت ثورة النجف، التي تتلخص في محاولة بعض أهل النجف مقاومة الاحتلال البريطاني، حيث تمكنوا من قتل القائد البريطاني للنجف، ويدعى "مارشال"، فحوصرت البلدة، وهدم سورها، واشتد الحصار الاقتصادي على سكانها، ومنعوا الماء، والطعام، حتى قبض على عدد من ثوارها، وصدر حكم الإعدام فيهم، ونفذ الحكم أمام أهل النجف في أحد عشر عراقيا، كما صدرت أحكام عسكرية أخرى بالسجن والنفي لعدد آخر من الثوار .